فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "دروس العشر"

ميقات المشتاقين

(باللغة العربية)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-103226.htm

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلَّى الله عليه وسلم–، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:102.

نفحاتٌ للزيادة في الطاعات

أما بعد أحبتي في الله: من رحمة الله –عز وجل– بهذه الأمة أن قَدَّرَ لها أزمانًا فيها الخير والبركات، قَدَّرَ لنا نفحات تجعل الإنسان يزداد في الطاعات ويزداد في الثواب؛ حتى يُعَوِّضَ نقص العُمر في هذه الأمة، فلقد كانت الأمم من قبلنا أعمارها طويلة وأعمار أمة النبي –صلَّى الله عليه وسلم– ما بين الستين والسبعين..

فلذلك هذه الأمة التي نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، هذه الأمة التي كرمها الله –عز وجل– أنَّ لها شَطْرَ أهل الجنة أو أزيَد من ذلك، هذه الأمة تحتاج إلى المسارعة والمسابقة في الخيرات، فَقَدَّرَ الله –عز وجل– لها أزمنةً يُضاعَف فيها الثواب.

انتبه .. الآن موسم المناجاة والنجاة

قَدَّرَ الله –عز وجل– لهذه الأمة ليلة هي خيرٌ من ألف شهر وهي ليلة القدر، وقَدَّرَ الله –عز وجل– أيضًا هذه الأيام التي مَنَّ الله –عز وجل– علينا بها وأكرمنا الله –عز وجل– أن أبقى في أعمارنا إلى أن أدركناها، أيام العشر، العشر الأُوَل من ذي الحجة.

هذه الأيام، هذا الميقات، ميقات العشر الذي ينتظره الإنسان كما انتظره موسى –عليه السلام–، هذا الميقات الذي يتلهف إليه المؤمن، الذي يزداد إليه شوقه، هذا الميقات الذي ينتظره المؤمن طوال العام؛ حتى يتفرغ قَلْبِيًّا لذكر الله – عز وجل–، ولمناجاة الله –عز وجل–، ولدعاء الله –عز وجل–؛ حتى يَمُنَّ الله –عز وجل– عليه بالخير والبركات.

ميقات العشر هي نفس الأيام التي عاشها موسى –عليه السلام– كما قال بذلك جمعٌ من المفسرين، قال الله –عز وجل–: "وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" الأعراف:142..

قال جمعٌ من المفسرين: ثلاثين ليلة هي شهر ذي القعدة، "وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ" كان التمام والفضل والمِنة والكرم، كان في

العشر الأُوَل من ذي الحجة.

هذا الموسم دائمًا ما يشهد أعمال الخيرات ويشهد الفتح والبركات، هذا الموسم كان فيه المناجاة، مناجاة موسى –عليه السلام– لله –سبحانه وتعالى–، هذا الموسم كان فيه المناجاة، كان فيه النجاة، كان فيه نجاة إسماعيل –عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم–، هذا الموسم كان فيه حج إبراهيم –عليه السلام–، هذا الموسم كان فيه قول الله –عز وجل–: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" المائدة:3، هذا الموسم دائمًا فيه التمام "وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً".

رحلة موسى لميقات العشر

هذه الآيات تعالوا نقف معها وقفات، هذه الآيات في سورة الأعراف التي تُخبرنا عن شوق موسى –عليه السلام– وهو يذهب إلى ميقات ربه، هذا الميقات الذي نحن فيه الآن من الزمان ميقات العشر، هل أتينا إلى هذا الميقات بقلب موسى –عليه السلام– الذي جاء متلهفًا لمناجاة الله –سبحانه وتعالى–؟

قال الله –عز وجل– في أول هذه الآيات: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ" الأعراف:138، بعد جهدٍ مُتعبٍ بذله موسى –عليه السلام– مع بني إسرائيل بعد أن مَنَّ الله –عز وجل– عليهم بالنجاة من ذلك الطاغية، من فرعون "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ"، ماذا فعل بنو إسرائيل؟ هل نظروا إلى المُنعم –سبحانه وتعالى– أم انشغلوا بالنعمة عن المُنعم؟ هل شكروا ربهم –سبحانه وتعالى– على هذه النعمة؟ ولكنك تُفاجأ بقول الله –عز وجل–: "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ"، عايزين زيهم يا موسى، نريد مثلهم.

هكذا دائمًا الأمم التي عاشت على الذل والاستعباد تعشق التبعية، تُفضل الذل، تريد أن تُقَلِّد دائمًا مهما كان هذا التقليد، كما أخبر النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "..حتَّى لو دخَلوا في جُحرِ ضبٍّ لدخلتُم فيهِ..." صححه الألباني، يعني لو دخلوا جحر ضب هنقول عايزين زيهم، عايزين جحر ضب زيهم.

"قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" يا بني إسرائيل ماذا فعل هذا الإله لهؤلاء القوم؟ هل نجاهم من فرعون؟ هل شَقَّ لهم البحر؟ هل أنزل لهم المَنَّ والسلوى؟ هل شَقَّ لهم الحَجَر وأخرج لهم الماء؟ ماذا فعل هذا الإله الذي يعكف هؤلاء القوم عليه حتى تطلبون إلهًا مثله وتتركون إلهكم؟ "قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ" الأعراف 139:138، دائمًا سيسقط الباطل مهما علا.

"إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا" الأعراف 140:139، عايزين إله

غير ربنا اللي أنعم عليكم بكل النعم دي؟ "قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ" الأعراف 141:140، ذَكَّرَهم موسى –عليه السلام– بنعمة نجاة الأبدان، ثم مَنَّ الله –عز وجل– عليهم بنعمة حياة القلوب والأديان.

لهفة موسى لإتمام المهمة .. لنيل الجائزة

"وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً" كَلَّفَ الله –عز وجل– موسى بمهمةٍ يؤديها، أن يذهب إلى فرعون ويطلب منه أن يرسل معه بني إسرائيل، كلف الله –عز وجل– موسى بهذه المهمة، التزم موسى –عليه السلام– وأدَّى الأداء وقام بالمهمة على حق التمام، ثم بعد ذلك كانت الجائزة، قال الله –عز وجل– لموسى وواعده إن هو أتمَّ هذه المهمة أن يكون الجزاء اللقاء لكلام الله –عز وجل–.

كلَّمه الله –عز وجل– في أول المهمة، في أول لحظةٍ من اللحظات حينما نادى الله –عز وجل– على موسى وقال: "يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" القصص:30، كلَّمه الله –عز وجل– في أول المهمة على غير انتظارٍ ولا توقع، ثم أخبره إن هو أتم هذه المهمة سيكلمه هذه المرة على انتظارٍ وتوقع..

لطالما طالت هذه اللحظات ينتظرها موسى –عليه السلام–، يتمنى أن ينهي هذه المهمة ليذهب إلى لقاء الله –سبحانه وتعالى– ويسمع إلى كلام الله –سبحانه وتعالى–، جاء موسى –عليه السلام– يحدوه الشوق واللهفة يريد أن يسمع كلام الله، كان موسى –عليه السلام– غير منشغلٍ بفرعون ولا بأي شيء، كان منشغلًا بالوقت الذي ينتظره ويمن الله –عز وجل– عليه ويسمع فيه إلى كلام الله –عز وجل–، ما بالنا لا نشتاق إلى سماع القرآن؟! ما بالنا لا نشتاق إلى قيام الليل؟!

المقاييس الغيبية تختلف عن المقاييس الأرضية

قال الله –عز وجل–: "وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً" ظل ينتظر هذا الموعد، كذلك المُحِبّون دائمًا ينتظرون لقاء حبيبهم، "وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ" قال جمهور من المفسرين: "ظل موسى –عليه السلام– صائمًا شهر ذي القعدة كاملًا، ثم بعد ذلك انتظر موعد اللقاء في كل لهفةٍ وشوق، فوجد أن ريح الصوم يخرج من فمه، تغير ريح فمه، فقام واستعمل السواك واستاك وغيَّر ريح فمه، فقالت له الملائكة: أوَ ما تعلم أن خلوف فم الصائم أفضل عند الله – عز وجل– من ريح المسك؟"

هكذا أحبتي في الله المقاييس الغيبية غير المقاييس الأرضية، دم الشهيد أفضل عند الله من المسك، خلوف فم الصائم أفضل عند الله من المسك، هكذا المقاييس، المؤمنون لهم مقاييس مختلفة تمامًا..

فيما يُروَى عن النبي –صلَّى الله عليه وسلم– أو موقوفًا روي أن: "الشِّتاءُ ربيعُ المؤمنِ..." حسن، الناس حينما يختارون فصلًا من الفصول يريدون أن يتنعمون فيه قد يختارون الربيع، قد يختارون الخريف، قد يختارون الصيف، ولكن النبي –صلَّى الله عليه وسلم– فيما يروى عنه قال: "الشِّتاءُ ربيعُ المؤمنِ..." المؤمن حينما يختار زمنًا، يختار الزمن الذي يناسب العبادة فقال: "..طالَ ليلُه فقامَه، وقصُرَ نَهارُه فصامَه"، المؤمن حينما يختار يختار الأنسب لطاعة الله –عز وجل–، كذلك مقاييس المؤمنين تختلف عن مقاييس البشر.

حاجة الناس دائمًا إلى من يرعاهم ويعلمهم الدين

"وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ" فأتم موسى –عليه السلام– صوم العشر حتى عاد خلوف فم الصائم إلى فمه –عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم–، وقبل أن ينطلق موسى إلى هذا اللقاء الذي لطالما انتظره قال لهارون أخيه –عليه السلام– "وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي" الأعراف:142، هكذا دائمًا المصلحون يخافون على أقوامهم من التغيير والفساد، يعلمون أن الأقوام بحاجةٍ إلى من يرعاهم، يعلمون أن الأقوام يحتاجون إلى من يَسُوس دنياهم وأن يعلمهم دينهم، هكذا دائمًا الناس يحتاجون إلى من يعلمهم الدين، يحتاجون إلى من يربيهم على الدين.

إن لم تستطع مواجهة الباطل .. فلا ترمِ نفسك في أحضان أهله

"وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" وكأن موسى –عليه السلام– من كثرة ما رأى من مراوغات بني إسرائيل في التيه يعلم أن من بين بني إسرائيل مفسدون يريدون أن يفسدوا في الأرض، فقال موسى لأخيه هارون: "أَصْلِحْ" استعمِل الإصلاح دائمًا، قدر المستطاع لا تجعل الفساد يظهر، أما وإذا ظهر الفساد ولم يعد لك طاقةً على الإصلاح فلا تتبع سبيل المفسدين.

إذن الإنسان قد يمر في مرحلة أن الله –عز وجل– يعطيه القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعطيه القدرة على منع الظالمين وقهر الظالمين، هذا هو الإصلاح التام، إذا لم يستطع الإنسان الإصلاح فلا عذر له إن اتبع سبيل المفسدين، إذن يجب على الإنسان أن يصلح قدر المستطاع، فإذا عجز وسقطت القدرة عنه فلا عذر له أن يذهب إلى سبيل المفسدين وأن يجلس معهم وأن يتسامر معهم، ليس هذا عذرًا أبدًا، عدم القدرة على مواجهة الباطل لا يعني أبدًا الارتماء في أحضان أهل الباطل.

"وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ" ولم يقل له تجلس معهم، لا تَسِر على طريقٍ ساروا عليه أبدًا حتى لو كان في ظاهر هذا الطريق الإصلاح "لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"، ابتعد عنهم تمامًا، لا تجالسهم، اؤمر بالمعروف وانه عن المنكر، وضِّح الحق وبيِّن الحق وما عليك بعد ذلك، "وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ".

يا لفرحة المؤمن ببذله

ثم قال الله –عز وجل– عن هذه اللحظة التي قد تقتل قلب المؤمن المشتاق إلى الله –عز وجل–: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا" الأعراف:143، يا الله، أخيرًا جاءت اللحظات التي طالما انتظرها موسى، هذه اللحظات التي كانت جزاءًا على التمام "ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ" الأنعام:154، طالما أحسن موسى –عليه السلام– في طاعة ربه، ذهب إلى فرعون ولم يخش في الله لومة لائم، ذهب إلى فرعون وقال الحق ولم يخش في الله لومة لائم فناجاه الله –عز وجل–، وكلمه الله –عز وجل–.

أخيرًا جاءت اللحظات، يا لفرحة موسى على بذله، يا لفرحة موسى –عليه السلام– على التمام، ويا لفرحة المؤمنين حينما يبذلون أعمارهم وأوقاتهم لنصرة دين الله ثم يأتون يوم القيامة يُبشَّرون برؤية الملك –سبحانه وتعالى–، حينها يسعد المؤمن أن بذل كل لحظةٍ في حياته لنصرة دين الله، وينادى عليه من بين الخلائق: هلُمَّ لرؤية وجه الله –سبحانه وتعالى–.

هذه اللحظة التي ينتظرها دائمًا المشتاقون، قال الله –عز وجل– في سورة العنكبوت التي نزلت في أواخر العهد المكي بعد طول استضعافٍ وطول بذلٍ وطول تعذيبٍ، قال الله –عز وجل–: "مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّـهِ" الذي يتمنى رؤية وجه الله، الذي يشتاق إلى رؤية وجه الله، الذي أنساه الشوق العذاب، الذي أنساه الشوق والنظر إلى وجه الله –عز وجل– ما لاقاه في سبيل الله "مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّـهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّـهِ لَآتٍ" العنكبوت:5، يُطمئِن الله –عز وجل– القلوب المشتاقة إليه، سيأتي يومًا تنظرون إليّ.

"مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّـهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّـهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم"، هو السميع لأقوالهم، العليم بأشواقهم، هو السميع لأقوالهم، العليم بأشواقهم، هكذا يُصبِّر نفسه المؤمن، سيأتي يوم يزول فيه التعب، سيأتي يوم لا نصب فيه ولا تعب، سيأتي يوم يُكشَف فيه الحجاب وينظر المؤمنون إلى وجه الله.

"وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا" في هذه اللحظات جاء الشوق بموسى –عليه السلام– "وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" يا الله أخيرًا جاءت اللحظة التي طالما انتظرها موسى، لقد سمع هذا الكلام من الله –عز وجل– في أول البعثة، وها هو الآن بعد التعب وبعد أداء المهمة يمنّ الله –عز وجل– عليه بسماع الكلام "وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ".

هكذا المُحبّ .. يشتاق ويشتاق

لما سمع كلام الله اشتاق إلى رؤية وجه الله، هكذا المؤمنون حينما يسمعون القرآن لا يتمالكون أنفسهم إلا وأن يدعو يا رب لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، إن هذا الإله الذي تكلم بهذا الكلام يعجز المؤمن إلا أن يطلب يا الله لا تحرمني لذة النظر إلى وجهك الكريم..

كما روى الطبري في تفسيره: "قال موسى –عليه السلام– لما سمع كلام الله قال: "رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ"" لما سمع كلام الله اشتد شوقه لرؤية وجه الله –عز وجل–، "فقال الله –عز وجل– لموسى: يا موسى أما علمت أنَّ من رآني مات؟ فقال: أي ربي" اسمع إلى كلمات المشتاقين إلى رؤية وجه الله، قال: أي ربي لأن أراك فأموت أحبّ إليّ من أن أعيش ولا أراك، كيف أصبر على حياةٍ لا أراك فيها، كيف أصبر على حياةٍ بعد أن استمعت إلى كلامك".

المشتاقون لله يفرحون بالموت

هكذا يعيش المشتاقون ينتظرون لحظة رؤية وجه الله –عز وجل–، المؤمن حينما يأتيه الموت يفرح بلقاء الله –عز وجل–، يُبشَّر بجناتٍ من الله –عز وجل– فيفرح بلقاء الله –عز وجل–، يقولها وهو سعيد في لحظاتِ الموت غدًا نلقى الأحبة، في هذه اللحظات في لحظات الموت يفرح المؤمن.

"وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ" لم يملك موسى نفسه من الشوق فقال: "رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" يارب أنا نفسي أشوفك يارب، بعد ما سمعت كلامك ازداد شوقي إليك "رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" جاءت هذه الكلمات التي نزلت على قلب موسى كالصاعقة "قَالَ لَن تَرَانِي" أي في الدنيا ولكن اصبر حتى يأتي أجل الله، فقال النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "..وإنكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا" صححه الألباني.

يا لفرحة المؤمن بالموت، "..وإنكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا" فنزلت هذه الكلمات على قلب المشتاق "قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ" ولكن ماذا؟ هل تجدَّد الأمل مرةً أخرى؟

التفكر طريق الوصول لله –عز وجل–

"وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ" لا تتفكر في الذات ولكن تَفكَّر في المخلوقات، لما قال: "أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" أي إلى ذاتك المقدسة قال الله: "انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ"، هكذا أحبتي في الله في هذه الأيام نتدبر في مخلوقات الله –عز وجل– كيف أن الله –عز وجل– خلق السماوات بغير عمدٍ، ومدَّ الأرض، "وجَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ" الرعد:3، جعل الله –عز وجل– النباتات والحيوانات والدواب بأنواعها والشموس والأقمار والأكوان، من الذي خلق كل هذا؟ من الذي يدبر الأمر؟ من الذي يُعطي كل مخلوقٍ رزقه؟ "مَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا" هود:6.

إنَّ التأمل في مخلوقات الله –عز وجل– يزيد الإنسان شوقًا إلى رؤية الله –سبحانه وتعالى–، تأمل حينما تنظر في أيّ مخلوقٍ جميل وفي أيّ مشهدٍ جميل، حينما تنظر إلى مشهدٍ جميل تجد نفسك تلقائيًّا تقول سبحان الله أي أنَّ الذي خلق هذا الجمال يا تُرى ما هو جماله؟! "..إنَّ اللهَ جميل..." صحيح مسلم كما قال النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، افرحوا أحبتي في الله بتمني رؤية وجه الله.

رؤية الله مكافأة في الجنة

"..إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ..." ما بالكم أحبتي في الله لو كشف الله –عز وجل– عن حجابه، إن الله –عز وجل– كما أخبر النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "..حِجابُه النورُ لو كشفه لأحرَقَتْ سُبُحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقِه" صحيح مسلم؛ لذلك المؤمن في الدنيا البشر لا يملكون القوة على رؤية الله –عز وجل– في الدنيا، لكن إذا منَّ الله –عز وجل– عليهم وأدخلهم الجنة أعطاهم الله –عز وجل– القدرة على النظر إلى وجهه، نسأل الله –عز وجل– أن نكون منهم.

حال الجبل حين تجلى رب العزة

"وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" في هذه الأيام وموسى –عليه السلام– يُصبِّر نفسه بكثرة الذكر لله –عز وجل–، "قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ" ماذا يا رب؟ "انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي".

أريدك أن تعيش معي هذه اللحظات، في هذه اللحظات يقف موسى –عليه السلام– ينظر إلى الجبل في أقوى المخلوقات الموجودة أمامه، وينظر إلى هذا الجبل العظيم ويقول الله –عز وجل–: "فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي"، يا تُرى هل سيصبر الجبل حينما يتجلى الله حتى أرى الله –عز وجل–؟ يا ليت هذا الجبل يصبر حتى أستطيع أن أرى الله –عز وجل–، انظر إلى هذه اللحظات كيف مرت على موسى –عليه السلام– ينظر إلى الجبل وينتظر اللحظة التي يتجلى الله فيها للجبل.

"فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا" لما كشف الله –عز وجل– عن حجابه النور، قال النبي –صلَّى الله عليه وسلم– فيما يُروَى عنه أنه قرأ هذه الآية: "فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا" قال: "هكذا بإصبعه – ووضع النبي –صلَّى الله عليه وسلم– إصبعه الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، أي بقدر هذا المقدار كشف الله عن حجابه من النور، بقدر هذا المقدار فقط كُشف عن الحجاب فدُكَّ الجبل، وتغشى الجبل، وسقط الجبل، وساخ الجبل في الأرض ولم يعد له مكان كما قال العلماء.

حال نبي الله موسى

نظر موسى إلى هذا المشهد المهيب "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" الأنعام:91، نظر موسى إلى هذا المشهد المهيب فأُغشي عليه، لم يستطع أن يتحمل هذا المشهد العظيم من قدرة الله –عز وجل–، ما بالنا أحبتي في الله نتعامل مع الله –عز وجل– هذه المعاملة! ما بالنا لا نشتاق إلى رؤية وجه الله! ما بالنا ونحن نقول سبحان الله لا نتذكر هذه المعاني! ونحن نقول الله أكبر، أكبر من كل شيء، من كل مخلوقٍ هو خلَقَه –سبحانه وتعالى–.

"فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا" الله أكبر، تخيل هذا المشهد موسى –عليه السلام– في هذا المكان

مغشيًّا عليه والجبل يُدَك، كان موسى –عليه السلام– ينتظر ويتمنى أن يتماسك الجبل ولكن اصبر يا موسى حتمًا سيأتي يوم ترى فيه ربك، اصبر يا موسى –عليه السلام– اصبر سيأتي يومٌ لك وللمؤمنين يرون فيه ربهم، نسأل الله – عز وجل– أن يمنَّ علينا بلذة النظر إلى وجهه الكريم.

عش معنى "كأنك تراه"

أحبتي في الله هذه الأيام التي نعيشها حدث فيها ما سمعتم، أي واللهِ حدث هذا، هذا ليس من أساطير الأولين بل هو كلامُ رب العالمين، واللهِ لقد حدث هذا، واللهِ قد جاء موسى إلى هذا الميقات، سمع كلام الله فاشتاق فطلب الرؤية فدُكَّ الجبل فسقط مغشيًّا عليه.

أحبتي في الله هذه الأيام هي أيام الشوق إلى رؤية وجه الله، أيام رمضان أيام الاجتهاد في الطاعة، أيام الاستماع إلى الكلام، دائمًا بعد سماع الكلام يأتي الشوق إلى الرؤية، استمع موسى إلى كلام الله فجاء الشوق إلى رؤية وجه الله، نحن في رمضان استمعنا إلى كلام الله وقرأنا كلام الله في ثلاثين يوم وليلة، جاء الآن الوقت أن نعيش في معنى كأنك تراه، هذه الأيام لابد أن يكون شعارنا فيها كأنك تراه، تذكُر الله –عز وجل– وأنت تتدبر في أفعاله، في قدرته، في خلقه، في رزقه، في رحمته، في حلمه، في أسمائه وصفاته وأفعاله –سبحانه وتعالى–، تذكُر الله –عز وجل– وقلبك مليءٌ بالشوق إلى رؤيةِ هذا الإله العظيم، هذا الإله الجميل، هذا الإله الكريم..

فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله أنَّ لنا ربًّا، الحمد لله أن الله –عز وجل– ضرب للمؤمنين موعدًا للقائه –سبحانه وتعالى–، هذه الآية التي تُصبر المشتاقين "مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ" من عمل الأعمال الصالحة يطلب بها رؤية وجه الله –عز وجل– "فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ"، اطمئنوا أيها العاملون لدين الله، أيها الباذلون للمعروف اطمئنوا سيأتي يوم ترون فيه ربكم.

المعاني التي نخرج بها من الآية

"وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ" هذه المعاني التي نريد أن نخرج بها من العشر، هذه الكلمات الثلاث، هذه الجمل الثلاث التي قالها موسى بعد هذه التجربة الرائعة، هذه الكلمات التي قالها موسى بعد أن أفاق نريد أن نخرج بها من هذا الميقات كما خرج موسى بها من هذا الميقات –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم–، خرج موسى –عليه السلام– بعد الميقات بثلاث كلمات: "فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ".

خرج موسى بثلاث ثمراتٍ من هذه التجربة الرائعة:

- الثمرة الأولى: "سُبْحَانَكَ"

تنزيه الله –عز وجل–، أن يمتلئ القلب تعظيمًا لله –سبحانه وتعالى–، أن نحاول قدر المستطاع أن نتأمل في قدرة الله المطلقة –سبحانه وتعالى–، ألا نعظم شيئًا في هذه الدنيا، أن نعظم الله دائمًا، أن يكون شعارنا في الحياة الله أكبر، أكبر من كل شيء، هذا ما نريد أن نخرج به من العشر تعظيمُ الله –عز وجل– في قلوبنا.

الإنسان يخاف من أشياء من مخلوقات بسيطة حقيرة، كيف يخاف المؤمن من هذه المخلوقات؟! كما قال إبراهيم –عليه السلام–: "وَكَيْفَ أَخَافُ" الأنعام:81، أي كيف أخاف وربي الله؟! كيف أخاف ولي ربٌ عظيم قدرته مطلقة؟! كيف أخاف؟! فكذلك نريد أن نخرج من هذه العشر بالثمرة الأولى "سُبْحَانَكَ"، أن ننزه الله –عز وجل– عن كل نقص، أن نبتعد عن سوءِ الظن بالله.

"سُبْحَانَكَ" أن ننزه الله –عز وجل– عن كل نقص، أن نبتعد عن سوء الظن بالله، بعضنا إذا أصابه ضيق في الرزق أو ضيق في أيّ شيء يسرع بسوء الظن إلى الله –عز وجل–، سبحانه سبحانه.

لما وقع يونس –عليه السلام– في بطن الحوت قال: "لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ" الأنبياء:87، أنزهك عن كل نقص، لا أسيء الظن بك أبدًا، أنا أستحق، "سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ"، نريد أن نخرج بالثمرة الأولى تعظيم الله –عز وجل– "سُبْحَانَكَ".

- الثمرة الثانية: "تُبْتُ إِلَيْكَ"

كلما ازداد قدر الله –عز وجل– في قلبك كلما احتقرت أعمالك، كلما شعرت بالتقصير بين يدي الله.

لذلك لما قال: "سُبْحَانَكَ" قال: "تُبْتُ إِلَيْكَ"، أعترف بالنقص، أعترف بنقصي ونقص أعمالي بين يديك، اللهم أنت ربي وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ –لما اعترف بنعم الله عليه– وأبوء بذنبي، أنا مقصر، كلما عَظَّمت الله –عز وجل– في قلبك كلما شعرت بالتقصير بين يدي الله وأنَّ ما تبذله من طاعاتٍ، وإنفاقٍ، وصيامٍ، وجهادٍ، ودعوةٍ، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، كل هذا لا يأتي شيئًا في قدر الله –عز وجل– "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" –سبحانه وتعالى–.

حان موعد الاستجمام الإيماني

لابد أن تشعر في هذه الأيام بالتقصير، احنا في آخر السنة، آخر السنة هو ده موعد الميقات للمشتاقين، دائمًا بعد سنة من البذل زي سيدنا موسى كده لما بذل طويلًا، وبذل عظيمًا مع بني إسرائيل، وبذل جهدًا مضنيًا متعبًا مع فرعون، بعد طول هذا البذل جاء الميقات، جاء موعد الاستجمام الإيماني.

كذلك نحن في آخر العام بعد أن بذل الصالحون في الطاعات، وبعد أن بذل المصلحون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد طول البذل طوال العام يأتي هذا الميقات؛ لذكر الله –عز وجل–، للتفرغ لمناجاة الله –عز وجل–، لحساب

النفس، لتعظيم الله، لشعوري بالتقصير كما تفعل بعد الصلاة تستغفر الله –عز وجل– من التقصير وتنزه الله –عز وجل–، الثمرة الثانية: "تُبْتُ إِلَيْكَ" الشعور بالتقصير.

– الثمرة الثالثة: "وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ"

إذا اجتمعت الأولى والثانية أي إذا اجتمع في قلب العبد شدة التعظيم لله –عز وجل– مع الإحساس بالتقصير تنتج الثالثة وهي المسارعة في الخيرات.

"وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" أريد أن أكون أول من يدخل المسجد، أريد أن أكون أول المنفقين، أريد أن أكون من أول القائمين للّيل، أريد أن أكون من أول المجاهدين، أريد أن أكون من أوائل الباذلين أعمارهم لنصرة دين الله –عز وجل– ، أريد أن أكون من أول الحافظين لكتاب الله –عز وجل–..

هكذا يخرج المؤمن في نهاية العام بمشاعر وبذل وتضحية ينطلق بها إلى بذلٍ في العام القادم، يخرج بـ "سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ" ثم أخيرًا المسارعة في الخيرات "وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ".

فوائد المحافظة على ذكر الله

هكذا أحبتي في الله لابد أن نحافظ في هذه الأيام على الذكر، أن نكثر فيها من التهليل والتسبيح والتكبير، قال النبي –صلَّى الله عليه وسلم– وهو يوصي رجلًا طلب منه الوصية، قال له النبي –صلَّى الله عليه وسلم–: "..وعليكَ بذِكْرِ اللهِ تعالى، وتِلاوةُ القرآنِ، فإنَّهُ روحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُك في الأَرضِ" حسنه الألباني، "روحُكَ في السَّماءِ" أي أنه سببٌ لحياتك في السماء، سببٌ لراحتك في السماء، أي حينما تصعد روحك إلى السماء ذِكر الله –عز وجل– يجعل هذه الروح أثناء الصعود في قمة الراحة.

كيف الذكر حياةً في السماء وشرفًا في الأرض؟

إذا ذكر العبد الله –عز وجل– ذَكَره الله –عز وجل– في الملأ الأعلى، فعلى كثرة الذكر تعرفك الملائكة في الملأ الأعلى، فإذا صعدت روحك إلى الله –عز وجل– كل الملائكة تقول أخيرًا صعد إلينا فلان ابن فلان لطالما ذَكَره الله – عز وجل– أكرموه، إن الله يحبه أكرموه، تحتفي به الملائكة.

"..وعليكَ بذِكْرِ اللهِ تعالى، وتِلاوةُ القرآنِ، فإنَّهُ روحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُك في الأَرضِ" أي وشرفك في الأرض، "إنَّ اللهَ تبارَك وتعالى إذا أحَبَّ عبدًا نادى جِبريلُ إنَّ اللهَ قد أحَبَّ فلانًا فأحِبَّه فيُحِبُّه جِبريلُ ثم يُنادي جِبريلُ في السماءِ إنَّ اللهَ قد أحَبَّ فلانًا فأحِبُّوه فيُحِبُّه أهلُ السماءِ ويوضَعُ له القَبولُ في أهلِ الأرضِ" صحيح البخاري.

أكثِر من ذكر الله –عز وجل–، أكثِر وأنت تتأمل في مخلوقات الله –عز وجل–، انزع عن قلبك أيّ مشاغلٍ في هذه

الأيام، اجعل شعارك في هذه الأيام كأنك تراه، حاول أن تصل إلى مرتبة الإحسان التي حثنا عليها النبي –صلَّى الله عليه وسلم– بعد الإسلام والإيمان.

أدمِن ذكر الله .. تسهل عليك التضحية

أحبتي في الله آخر يوم من هذه الأيام يومُ العيد، يومُ النحر، يومُ يفرح المؤمنون بفضل الله –عز وجل– عليهم "قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" يونس:58، يفرح الطائعون بما بذلوا من طاعات، هذا اليوم يومُ النحر، يومُ التضحية، يومُ البذل.

هكذا أحبتي في الله التضحية لله يكون لها طعمٌ آخر بعد ذكر الله، لما تذكر ربنا كتير، وتسبح ربنا، وتتعرف إلى الله يسهل عليك البذل، لذلك العجيب أن الأضحية مش في أول يوم ولا في تاني يوم، الأضحية في آخر يوم بعد أن تدمن ذكر الله –عز وجل– في هذه الأيام يسهل عليك التضحية لنصرة الله –عز وجل–.

ذكر الله قوة

يتعجب كثيرٌ من الناس كيف يحافظ فلان على قيام الليل؟! كيف يجاهد فلان في سبيل الله؟! ألا يخاف من فتنة السيف على رقبته؟! كيف يأمر بالمعروف وينهى على المنكر؟! هذا فعل المحبين أحبتي في الله.

إذًا المؤمن إذا ذكر الله كثيرًا استطاع أن يثبت في الفتن، استطاع أن يضحي، قال الله –عز وجل– في وقت الأزمة في الأحزاب: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً" الأحزاب:21، الذي يذكر الله –عز وجل– كثيرًا يستطيع أن يقف في وجه الأحزاب، يستطيع أن يقف في وجه الفتن بفضلٍ من الله –عز وجل–، ذكر الله –عز وجل– قوةٌ للبدن، قوةٌ للقلب، قوةٌ للروح.

دعاء الخاتمة

أسأل الله –عز وجل– أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اجعلنا لك ذكَّارين، اللهم اجعلنا لك ذكّارين، اللهم لا تخرجنا من هذه الأيام إلا وقد عفوت عنا، وقد رضيت عنا، وتقبلتنا في الصالحين يارب العالمين، اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنةٍ مضلة، اللهم اجعلنا هداةً مهتدين، اللهم بلغنا يوم عرفة، اللهم أعِنّا على صيامه على الوجه الذي ترضى به عنا يارب العالمين، اللهم وتابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم وتابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم ولا تحرمنا الأجر يارب العالمين بفضلك وكرمك وجودك يا رب العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36